**المحاضرة الثانية : نشأة الأدب الصوفي**

إن المتتبع لرحلة النص الأدبي الصوفي في مسار تطوره، وانتقاله إلى المتلقي سيلاحظ أنه مر بمراحل مختلفة، أثرت في عملية إنتاجه؛ ذلك أنه لم يولد ناضجا مكتملا، ولم يجد سبيله إلى المتلقي بطرق يسيرة. ضف إلى ذلك أنه لم يكن منفصلا عن السياقات الاجتماعية والتاريخية التي أفرزته، لا يختلف الباحثون على أن التصوف نشأ أساسا عن ذلك الزهد الذي اتصف به النبي صلى الله عليه وسلم والعدد الأكبر من الصحابة والتابعين ، وكانت حالة الزهد هذه أمر طبيعي الحدوث بفضل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تحمل معاني التشجيع للمؤمن على العمل من أجل الآخرة ومحاولة الإقلاع عن الانغماس في عرض الدنيا الزائل ، مع المطالبة بتزكية النفس ، والتوكل على الله ، والخوف منه تعالى ، والرجاء الدائم برحمة الله وغفرانه.

**أ- الشعر الصوفي :**

ظهر التراث الشعري الصوفي في أوائل القرن الثاني الهجري على أيدي الحسن البصري وتلامذته من بعده ويمكن تقسيم الأدب الصوفي إلى ثلاثة أطوار :

**- الطور الأول :**

يبدأ من ظهور الإسلام وينتهي في أواسط القرن الثاني للهجرة ؛ « وكل ما بين أيدينا منه طائفة كبيرة من الحكم والمواعظ الدينية والأخلاق تحث على كثير من الفضائل ، وتدعو إلى التسليم بأحكام الله ومقاديره ، وإلى الزهد والتقشف وكثرة العبادة والورع » ، وتشمل القرن الثاني الهجري بأكمله ، والخلافة العباسية في بغداد...وفيها كان الشعر الصوفي يكون نفسه بنفسه ، وينهض بتقاليده الفنية والفكرية ليؤصلها في أذهان الناس، وكان هذا الشعر الصوفي لمحات دالة أو قليلا من الأبيات الموجزة ، ومن شعراء هذه المرحلة رابعة العدوية (185هـ).

**- الطور الثاني :**

وتشمل قرنين من الزمان هما الثالث والرابع الهجريان ، وقد كان الشعر في هذه الحقبة في دور نهضة وازدهار ، وهنا يبدو ظهور أثار التلقيح بين الجنس العربي والأجناس الأخرى ، وفيه يظهر اتساع الأفق اللاهوتي وتبدأ العقائد تستقر في النفوس على أثر نمو علم الكلام ، وفيه يظهر عنصر جديد من الفلسفة ، ومن الشعراء في هذه المرحلة : أبو حمزة الخرساني ( ت 290ه) ، وفيها ظهر من شعراء العربية المتنبي والشريف الرضي وسواهما.

**- الطور الثالث :**

تشمل القرن الخامس والسادس والسابع تستمر إلى غاية أواسط القرن الثامن ، وفيها يتجه الأدب الصوفي إلى الحب الإلهي ومدح الرسول والشوق إلى الأماكن المقدسة ، ويدعو إلى الفضائل الإسلامية ، وفي هذه المرحلة نشأ الأدب الفارسي وظهر شعراء العربية الكبار المعري ومهيار ، وبرزت العديد من أسماء الصوفية واشتهرت كالسّريّ السَّقَطيّ ( ت 251ه) حيث كان شيخ المتصوفة في بغداد وإمامهم في وقته ، ويعتبر أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال والمقامات حيث يقول : « من علامات المعرفة بالله القيام بحقوق الله » فهو بذلك كان يصل بين التصوف والشريعة.

وواضح مما تقدم أن العصر العباسي الثاني لم يكد ينتهي حتى تأصلت فكرة المعرفة الإلهية ومحبة الله ، كما تأصلت فكرة أن الصوفية أولياء الله ، وقد أحاط الحلاج الرسول صلى الله عليه وسلم بهالة قدسية تشبه الهالة التي يحيط بها المسيحيون المسيح عليه السلام ، وكان كل ذلك أثر عميق في حياة التصوف وتطوره على مر الأجيال ، وهو العصر الذهبي في الأدب الصوفي غني في شعره ، غني في فلسفته ، شعره من أغنى ضروب الشعر وأرقاها ، وهو سلس واضح وإن غمض أحيانا.

تطور الأدب الصوفي نثرا وشعرا وبلغ الشعر ذروته مع ابن عربي وابن الفارض في الشعر العربي ، وجلال الدين الرومي في الشعر الفارسي ، ولم يظهر الشعر الصوفي إلاّ بعد شعر الزهد والوعظ الذي اشتهر فيه كثيرا أبو العتاهية ، وكذلك بعد شعر المديح النبوي ، وانتشار التنسك والورع والتقوى بين صفوف العلماء والأدباء.

**ب- النثر الصوفي :**

الأدب الصوفي المنثور باب واسع المدى فسيح الأرجاء وهو خلاصة عقول مؤمنة متصوفة عابدة متبتلة منذ بدء حركة التصوف حتى اليوم ، وهو الذي أثر عن الصوفية من القرن الثاني حتى القرن الرابع عشر الهجري نثر كثير ، وفي هذا الطور بدأ تَكَوُن الاصطلاحات الصوفية والشطحات.